

هذا ذاته يؤكد «مسألة شكلية» أخرى في شعر خالد .. هي أنه في أغلب قصائده مجموعته هذه يجمع بين : معطيات التجربة الشعرية الجديدة (من حيث المفهوم) ، والقيم الشعرية الكلاسيكية (البناء اللغوي . الاستعارة . الأسلوب السردي) التي كانت تهازج النماذج الأولى التي تفجرت عنها حركة الشعر الجديد . والشاعر واقع تحت تأثيرات هذه القيم ، على الرغم من انتباهه الى جيل جديد في الكثير من قيمه . وعلى الرغم من تطور حركة الشعر الجديد في السنوات العشر الأخيرة تطورا ملحوظا ، ألقى الكثير من اعتبارات المرحلة الأولى (الخمسينات) ، إلا ان شاعرنا ، كما يبدو ، ما يزال متشبها بها ، بهذا الشكل أو ذلك .

من هنا لم تستطع المجموعة ان تقدم مصطلحا شعريا خاصا بها .. وان تكن هناك ملامح لوجه غير واضح القسنيات . فقد بدأ ضعيف القدرة على استيعاب تراث الغضبية (النفسي والانساني) .. ليظل جانبيا في أكثر ما كتب ، سواء في معاناته ، أو في قلته ، أو في أزمة تشرده التي ظلت ، بالنسبة له ، أزمة تشرد ، ولم تستحل الى ثورة . والتفرد الذي يظهر هنا وهناك على « واقع التشرد » ، يظل حبيس الوضع ذاته ، على الرغم مما يعتبده من تمويه صوري ، ورمزي . وهذا يشير السى « طبعية موقف » يتخذه الشاعر ، يبدو فيه قليل الأمل ، أو التناؤل بالكثير مما يحدث .. وكان الصورة الغائبة للخروج ما تزال في عينيه .. وهذا ما جعل الإنسان - الغضبية يبدو وكأنه شبح في ذهنه . وهي « حالة » قد تكون لها ظروفها الفكرية (الموقفية) والموضوعية التي لا نستطيع ان نقطع بها في موقف كهذا ..

تبقى هناك الدراسة التي ألحقها الشاعر بمجموعته هذه ، والتي كتبها الأستاذ علي عباس طوان .. وهي دراسة تحاول ان تقدم بعض الإضاءات في « تفسير » القصائد .. وهي تفسيرات أجدني أخالفه في كثير مما جاء فيها . كان يجد « ان دور اللاوعي في تشكيل بناء (سفر بين الينابيع) أكبر من دور الوعي المهندس » .. وهي مغالطة يرتكبها الناقد ، إذ الشاعر يقدم نقيضها في شعره .

أما « الغموض الكثيف والتعقيد الشديد للذين يلفان صور الشاعر ولوحاته العامة ، والكبيرة .. »

« كنت أعمى وحيدا
قائدني من يدي الدليل في الصحراء .
أغرق الليل وجهي ، فقال الدليل :
« قد عبرنا سياج الحديقة
هو ذا النبع لا تبئس ! »
عثرت قدماي ، سقطت ، فلامس وجهي صديقه
وتراخت على الرجل أهدابي .
عندها صحت الشمس في عيني
فأريت الدليل يوقع حلفا مع الصحراء » .
.. لكن ايضاً شعرياً يطلع من بين هذا
التهشيم لكل الأبعاد المحركة ، الذهبية والشعبوية ،
حين يقول :

« كانت الأرض مبنية والسماء
ركبتها عيون الدليل على ما تشاء
فضح الرمل سر المكان
فسياج الحديقة والنبع اسطورتان ! »

هنا فقط يتحقق ذلك التلاؤم الحميم بين المعطى والاحساس ، في سياق شعري يحافظ على تتابعه ، ولا يجزئ نفسه في تفصيلات وامتدادات جانبية .. ان الشاعر يمسك ، وفي كثير من الأحيان ، بداية مسار قصيدة جيدة التركيب (الرؤيوي في الأقل) .. لكنه يبدد هذا ، ويضيعه في « تراكيب صورية » لا تقوم بينها تلك العلاقة من امتزاج العقل والشعور (الاحساس الداخلي) بها يمكن ان يخدم تنامي القصيدة ، تجربة وبناء . وفي حالة كهذه تصبح القصيدة « صياغة شكلية » . بينما الشعر الحقيقي ، أو الشعر الذي يكتب في عصر كهذا ، يقوم ، أو يفترض به ان يقوم على توازن وانصهار ثلاثة عناصر : التجربة ، والرؤيا التي تشكل هذه التجربة على نحوها الخاص ، واللغة .. حيث يتحقق ما يمكن ان نعبر عنه بالتلاحم بين « الصيغة » التي تتخذها التجربة ، وبين « الجوهر » الذي يشكلها ، أو تتشكل من خلاله ... لتصبح اللغة ، كما يصبح الرمز والاستعارة ، جزءاً من هذه التجربة .

ان لغة كهذه التي يستخدمها الشاعر لغة يتقلص تحت غطائها الثقل مخزون كبير من المشاعر، وتكبت تحت وطأتها ويفعل صلابتها حواجز كبيرة . فهي لغة متعسفة على الشعر .. كثيرا ما كبتت قدرات « النطق العمري » للشعر في غم الشاعر ..